

كلمة صاحب الجلالة في الذكرى الخمسين لمؤتمر أنفا

استقبل صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بالقصر الملكي بفاس، اعضاء الوفود المشاركة في المؤتمر الذي نظمته بالمغرب مؤسسة فرانلكين روزفيلت لايبريري التي يرأسها المؤرخ الأمريكي أرتور شليزنجر احتفاءا بالذكرى الخمسين لانعقاد مؤتمر انفا بالدار البيضاء سنة 1943.

وبهذه المناسبة ألقى جلالته الكلمة السامية التالية :

ضيوفنا الأعزاء المحترمين

إننا لنشعر بسعادة باستقبالكم اليوم، وأنتم تنزلون على بلادنا ضيوفا مكرمين، شاكرين لكم تلبيتكم دعوتنا، ووفادتكم علينا، لنقوم مجتمعين بتخليد حدث هام، مرت عليه بحلول هذا اليوم خمسون سنة، منذ أن جرى على أرض الدار البيضاء خلال شهر يناير سنة 1943.

لقد رأينا أن نخلد ما أصبح معروفا في التاريخ، باسم مؤتمر أنفا، وأن ندعو إلى بلادنا ـ لتكريم من ساهموا فيه من القادة الراحلين ـ من ينتمون إليهم، من المنحدرين منهم أو أقاربهم، ربطا للماضي بالحاضر، إنه المؤتمر الذي دعي والدنا محمد الخامس إليه، ليلتقي فيه بالرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت، والوزير الأول البريطاني وينستون تشرشل.

إن هذا المؤتمر كان محطة تاريخية في مسلسل الحرب العالمية الثانية، التي عصفت بالبشرية طيلة ما يناهز خمس سنوات، وشكل منطلقا حاسما لتحقيق النصر على قوات الشر والطغيان، ومعبرا سالكا إلى صنع السلام العالمي.

وقد قدر للمملكة المغربية أن تحتضن هذا المؤتمر، وأنا ما أزال أخطو على عتبة الثالثة عشرة من عمري، وحضرت بوصفي ولي العهد، مع والدي، فوعيت في سني المبكرة تلك، أهدافه العليا ومقاصده النبيلة التي أنار والدي ذهني بالحديث عنها.

وأذكر أنه زارني زيارة مفاجئة خاطفة في معهد دراستي بالرباط ـ المدرسة المولوية ـ وكان اليوم يوم جمعة، وأمرني أن أستعد لمرافقته إلى الدار البيضاء بعد ظهر ذلك اليوم، لأكون بجانبه في حفل تدشين مدرسة، وأن علي أن أرتدي اللباس القومي : الجلابية والطربوش، وأن لا أطلع أحدا على سر هذه الرحلة.

ولقد سبق لي أن حضرت بجانب والدي في رئاسة تظاهرات رسمية كان الإعداد لها والإعلان عن تاريخها يتم سلفا، فلم أفهم لم أجل والدي تلك المرة إلى آخر ساعة، إصدار أمره إلي بمرافقته، وأكثر من ذلك، لم أهتد إلى معرفة السبب القاضي بالاحتفاظ بسرية الرحلة إلى الدار البيضاء خصوصا والأمر لا يعدو تدشين مدرسة.

وفي الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم انطلقت بنا من الرباط إلى الدار البيضاء سيارة كان ثالثنا فيها سائقها. وفي الطريق أسر إلي والدي أننا سنحضر حفل عشاء يقيمه على شرفه الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت الذي جاء للمغرب للحضور في مؤتمر دولي ينعقد بين قادة الحلفاء، وأكد



والدي علي في الاحتفاظ بهذا السر الخطير، وقال إنه سيختبر بذلك قدرتي على كتمان الأسرار.

وتوجهنا عند وصولنا للدار البيضاء إلى القصر الملكي، ومنه توجه والدنا رحمه الله صحبة خديمه المخلص، الفقيه المرحوم السيد محمد المعمري على متن سيارة إلى مكان ظل سره مكتوما عن الجميع، جرت فيه محادثات على انفراد بينه وبين الرئيس الأمريكي، أما أنا فأخذتني سيارة أخرى إلى منزل الصدر الأعظم الحاج محمد المقري حيث وجدت معه فيه مقيم فرنسا العام الجنرال نوكيس، وقد لاحظت أن ملامح الاضطراب كانت بادية على وجه المقري، بينما كان الجنرال نوكيس مستسلما إلى هيجان نفسي كان يدفع به إلى تحرك لا يتوقف، وكان تحت تأثيره يذرع فناء البيت جيئة وذهابا، وبعد نحو ساعتين استدعينا إلى فيلا ميرادور بحي آنفا، ولما دخلناها استقبلنا الأقطاب الثلاثة : والدي، ورزفلت، وتشرشل، وكم خفق قلبي فرحا عندما أدركت أن والدي شارك في قمة ثلاثية كملك بلد تام السيادة، ثم دعينا للعشاء الذي ضم على المائدة الرئيس الأمريكي ووفد بلاده، والوزير الأول البريطاني وبعض أعضاء وفده، كما حضره الجنرال نوكيس، وضم حفل العشاء إلى جانب والدنا ولي عهده، وعضوين من الحاشية الملكية الحاج محمد المقري والسيد محمد المعمري مدير التشريفات الملكية.

وأثناء العشاء أثار الرئيس الأمريكي ما ينتظر الشعوب المغلوبة على أمرها من مستقبل واعد بالتحرر، وما يدخره لها القدر من غد أفضل في عهد ما بعد الحرب الذي قال عنه إنه سيكون عهد حرية الشعوب، فكان يبدو التضايق والحرج على وجه الوزير الأول البريطاني وهو يستمع إلى توجهات الرئيس الأمريكي، لأن بريطانيا العظمى آنذاك كانت لم تعتزم تحرير مستعمراتها التي تجعل من المملكة البريطانية أمبراطورية لا تغرب الشمس على رايتها كما كان يقال عنها.

وكان الذي فجر في نفسي فيضا من الفخر والاعتزاز هو ما علمته من اجتماع والدي على انفراد مع الرئيس الأمريكي بدون حضور المقيم العام الفرنسي، وكان هذا تجاوزا فعليا لتطبيقات الحماية التي جعلت من المقيم العام وزير خارجية المغرب ووزير دفاعه الوطني، إذ كانت فرنسا تمارس اختصاص هاتين الوزارتين في ظل حمايتها المبسوطة على المغرب.

وأكثر من ذلك، كم كانت سعادتي عظيمة بما صرح به الرئيس الأمريكي لوالدي في الاجتماع الخاص من أنه يعتقد أن المغرب سيسترجع سيادته في أمد لا يتجاوز عشر سنوات، وكان ذلك من رئيس الولايات المتحدة فراسة صدقتها الأحداث، فبعد عشر سنين فقط مزقت فرنسا بيدها عقد الحماية حين أبعدت في 20 غشت 1953 الملك الشرعي مشخص سيادة المغرب جلالة والدي، ونحن وأسرته معه إلى منفاه السحيق وكان ذلك بداية النهاية، بداية ملحمة الاستقلال التي آذنت معها شمس الحماية بالمغيب.

كان الرئيس روزفلت مضيفا كريما بشوشا ومتحدثا نافذا في تحليلاته لأعماق المشاكل، ولقد أحسست في نهاية العشاء أن التيار مر بينه وبين والدي، وأن حبلا متينا من التعاطف والتواد قد أصبح يشد بعضهما إلى بعض، وعدت من هذا اللقاء إلى الرباط، ولم أتحدث إلى رفاقي في المدرسة بشيء عنه حتى أذيع نبؤه وشاع، واجتزت بذلك امتحانا عسيرا جعلني أطمئن إلى أني أصبحت قادرا على حفظ الأسرار الجسام.



ومن بين ما سجله هذا المؤتمر قراره الاعتراف بشرعية تمثيل الجنرال شارل دوكول لفرنسا المقاومة المحاربة واعتباره المخاطب الوحيد والناطق باسمها تكريسا لموقفه التاريخي الشهير يوم 18 يونيو 1940 الذي أعلن فيه أن فرنسا ستواصل الكفاح وأنها خسرت معركة فقط ولم تخسر الحرب، وتقديرا لتحديه جميع المصاعب والمخاطر التي كانت تواجهه بسبب موقفه الحاسم هذا.

وأخيرا أود أن أقول إن اجتماع أنفا كان محاطا بسرية بالغة حتمتها ظروف الحرب. وكان محضروه قد احتاطوا لتلافي كل ما من شأنه أن يجعل نبأ انعقاده يتسرب إلى الخارج، ومع ذلك تسرب نبأ هذا الاجتماع وهو منعقد إلى العدو إذ وقعت برقية مرموزة في يد الألمان كانت تتحدث عن انعقاده بالدار البيضاء (كازا بلانكا)، ففك سرها الألمانيون وترجموا كلمة الدار البيضاء باسم البيت الأبيض (وايت هاوس)، وأسبل الله بذلك أردية حفظه على المجتمعين، فلو كان هتلر علم أن الاجتماع منعقد بالدار البيضاء، وهي لا تبعد كثيرا عن موقع عتاده الحربي لقنبلها ولأضاف مغامرة جديدة إلى سلسلة مغامراته.

حضرات السيدات والسادة

إن التاريخ كله من صنع رجال عظام يصنعون أحداثا عظمى، والمؤتمر التاريخي الذي نحتفل اليوم نحن جميعا بذكراه من بين الأحداث العملاقة التي تستحق التخليد، ويستحق صانعوها تكريمهم والإشادة بدورهم في صنع العظيم من الأحداث، وإننا نحمد الله على أن هدانا لنكون شركاء في تلك الحرب التي أعلن والدنا ساعة اندلاعها أن المغرب فيها طرف أصيل، وساهم فيها بلدي بمجهود حربي كبير، نصرة منه لقضية العدل والحرية التي لا يجوز أن يكون الأحرار فيها من القاعدين.

مرة أخرى أزجيكم جزيل الشكر لمشاركتكم هذه بجانبنا في هذه الذكرى، وأتمنى لكم مقاما طيبا ببلدنا الذي يتلقى بالأحضان دوما ناصري الحرية والعدل من بني الإنسان في كل مكان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

18 رجب 1413هـ موافق 12 يناير 1993م